الفصل السادس:
فضل عظمة القرآن

الفصل السادس: فضل عظمة القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[1].

قال الله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَن عَائِشَة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ[3] مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان**»[4].

* عَنْ ابنَ عمر رضي الله عنهما عَن النبي ﷺ قال: «**لاَ حَسَد[5] إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ[6] اللَّيل وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[7].

أعزهم القرآن

وُلد توأمين: الحسن وعلي، وكانا وأُمُهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يقومُ

---

(1) سورة: الإسراء، الآية: 45 .
(2) سورة: النمل، الآية: 92 .
(3) ماهر به: أي مجيد لفظه بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته .
(4) متفق عليه .
(5) لا حسد: أي لا غبطة .
(6) آناء: أي الساعات .
(7) متفق عليه .

عليٌّ الثلثَ والحسنُ الثلث وأُمُّهما الثلث، فماتت أُمُّهما فجزّءا الليل بينهما يقومان به حتى الصباح، ثم مات عليٌّ فقام به الحسن كله فكان يختم القرآن كل ليلة.

قال الحسن: قال لي أخي (عليٌّ) في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء وكنت أصلي ... فلما قضيتُ صلاتي أتيتهُ.

فقلت: هذا ماء . قال: قد شربتُ الساعة.

قلت: ومن سقاك وليس في الغرفة غيري؟

قال: أتاني جبرائيل الساعة بماءٍ فسقاني وقال: وأنت وأخوك وأبوك وأمك مع الذين أنعمَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحهُ.

كان الحسن يقال له: حيَّةُ الوادي لأنه لا ينام الليل وكان يقول: إني لأستحي من الله تعالى أن أنام تكلفاً.

قال أبو سليمان الداراني: ما رأيت أحداً الخوفُ أظهر على وجهه والخشوع من الحسن.

قال ليلة بعمَّ يتساءلون بآية فيها، ثم غشيَ عليه ثم عاد إليها فغشيَ عليه حتى طلع الفجر[1].

❀ ❀ ❀

بالقرآن أكل من الجنة

أبو بكر بن عيَّاش الكوفي المحدث:

قال أبو بكر عيَّاش: أتيت زمزم فاستسقيتُ منها عسلاً وأتيتها فاستسقيتُ منها لبناً، فاستسقيتُ منها ماءً.

ولمَّا كبُر كان يقول للملكين رقيب وعتيد: يا ملكيَّ طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما عند الله شفاعة فاستشفعا لي. ولم يُفرش له فِراش خمسين سنة ولم يضع جنبهُ إلى الأرض أربعين سنة.

---

(1) أحاسن المحاسن .

ولما حضرته الوفاة بكت أختهُ فقال لها: ما يبكيكِ وقد ختمَ أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة؟

وبكى ابنه فقال: ما يبكيكَ؟ أترى الله تعالى يضيِّعُ لأبيك أربعين سنة يختمُ القرآن كل ليلة؟

وقال الهيثم بن خارجة: رأيت أبا بكر العيَّاش في النوم أمامهُ طبق رُطب، فقلت: ألا تدعونا إليه وقد كنت سخيًّا على الطعام؟

قال: يا هيثم، هنا طعامُ أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا.

قلت: وبمَ نلت هذا؟

قال: تسألني عن هذا، وقد مضت عليَّ ست وثمانون سنة أختمُ في كل ليلة فيها القرآن[1].

❀ ❀ ❀

عتاب من القرآن

قيل رأى أيوب السختيانيُّ جنازة عاصٍ فدخل دهليزاً واختفى فيه لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها! ورأى أن هذا الميت فيمن ينبغي لأهل الدين أن لا يصلُّوا عليه، زجراً لأمثاله عن المعصية.

فرأى بعضهم الميِّت في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي.

وقال لي: قل لأيوب السختياني: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[2].

فيه بينة على سعة رحمة الله وجواز مغفرته للكبائر من الذنوب غير الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3] وأن الله يعاتب أحبابه بكلامه[4].

❀ ❀ ❀

(1) أحاسن المحاسن.
(2) سورة: الإسراء، الآية: 100.
(3) سورة: النساء، الآية: 48.
(4) الرسالة القشيرية.

مغفرة باقتداء

قيل دخل الحسن البصريُّ مسجداً ليصليَّ فيه المغرب مع جماعة فوجد إمامهم حبيباً العجميَّ ولم يسمع قراءته ولكن نُقل إليه أنه يُلحن فيها!! فلم يُصلِّ خلفه، لأنه خاف أن يُلحن لحناً يضرُّ بالصلاة لعُجمةٍ كانت في لسانه!!

فرأى في المنام في تلك الليلة قائلاً يقول له: لِمَ لمْ تُصلِّ خلفه، لو صلَّيتَ خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك، لأن صلاته كانت صحيحة، وكان فيها من الحضور والخشوع و التذلُّل بين يدي الله تعالى ما تزيد فضيلتهُ على ذلك اللحن اليسير الذي لا يضرُّ[1].

❀ ❀ ❀

غلبة الفقهاء

الانتصار العلمي

يُحكى أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي لأنه تربع على قلوب طلاب العلم، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة المعقدة في أسلوب الألغاز حتى يختبروا ذكاءه، أمام الخليفة الرشيد، وهذه الأسئلة هي :

السؤال الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج لحاجة وعاد، فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة، فقد حُرِّمَتْ عليَّ؟ فقال أهله: ونحن حرمت علينا كذلك.

إجابة السؤال الأول: إن هذا الرجل كان مشركاً، فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله تعالى إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة، وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كذلك.

السؤال الثاني: ما قولك في رجل هرب له غلام، فقال: هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟

---

(1) الرسالة القشيرية .

إجابة السؤال الثاني: يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل، ثم بعد ذلك يسترد ما وهب.

السؤال الثالث: شرب مسلمان عاقلان حُران الخمر يُحَدّ أحدهما و لا يحد الآخر؟

إجابة السؤال الثالث: إن أحدهما كان بالغاً و الآخر كان صبياً.

السؤال الرابع: لقيت امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً يا ابنينا وزوجينا وابني زوجينا؟

إجابة السؤال الرابع: إن الغلامين كانا ابني امرأتين فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها، فكان الغلامان ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما.

السؤال الخامس: أخذ رجل قدح ماء ليشرب فشرب نصفه حلالاً وحرم عليه بقية ما في القدح.

إجابة السؤال الخامس: إن الرجل شرب نصف القدح ورعَفَ ـ أي تساقط الدم الأسود من أنفه ـ في الماء الباقي في القدح فاختلط الدم بالماء فصار محرماً عليه.

السؤال السادس: زنى خمسة نفر بامرأة، فوجب على أولهم القتل، وثانيهم الرجم، وثالثهم الجلد، ورابعهم نصف الحد، وخامسهم لا شيء عليه.

إجابة السؤال السادس: استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل، والثاني كان محصناً متزوجاً، والثالث كان غير محصن، والرابع كان عبداً، والخامس كان مجنوناً.

السؤال السابع: رجل صلى ولما سلّم عن يمينه طُلّقت زوجته، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم؟

إجابة السؤال السابع: لما سلم الرجل عن يمينه رأى شخصاً تزوج هو ـ المصلي ـ امرأته في بيته، فلما رآه حضر طلقت منه، ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته، ولما نظر إلى الهلال وقد ظهر في السماء وكان

عليه دَيْن ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال.

السؤال الثامن: كان إمام يصلي مع أربعة نفر في المسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الإمام فلما سلم الإمام عن يمينه ورأى ذلك الرجل وجب على الإمام القتل وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد إلى أساسه.

إجابة السؤال الثامن: إن الرجل كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الرجل وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون وأن المسجد كان بيتاً للمقتول، فجعله الإمام مسجداً.

السؤال التاسع: أعطى رجل لامرأته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تُفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه، أو تفتقه، أو تكسر ختمه، أو تحرقه، وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق.

إجابة السؤال التاسع: إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه.

السؤال العاشر: رأى رجل وامرأة غلامين في الطريق فقبلاهما ولما سئلا عن ذلك قال الرجل: أبي جدهما، وأخي عمهما، زوجتي امرأة أبيهما، وقالت المرأة: أمي جدتهما، وأختي خالتهما؟

إجابة السؤال العاشر: إن الرجل كان أب الغلامين، والمرأة أمهما.

... فأعجب الرشيد بالشافعي، فقال: لله درُّ[1] بني عبد مناف، فقد بنيت فأحسنت، وفسرت فأبلغت، وعبرت فأفصحت.

فقال الشافعي: أطال الله عُمر أمير المؤمنين إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة فإن أجابوا عليها فالحمد لله، و إلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عني شرهم.

فقال الرشيد: لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي.

---

(1) لله دَرُّه: لله ما خرج منه من خير، وهي تُقال عند المدح والتعجب.

فقال لهم: مات رجل عن 600 درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان النظر في توزيع التركة؟

فنظر بعضهم إلى بعض ولم يستطيعوا الجواب، فقال الرشيد: قل لهم الجواب يا شافعي.

فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين، وأم، وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً، فأخذت البنتان الثلثين وهما 400 درهم وأخذت الزوجة الثُّمُن وهو 75 درهم، وأخذت الأم السدس وهو 100 درهم، وأخذ الإخوة الاثنا عشر 24 درهماً، بقي درهم واحد أخذته الأخت.

فتبسم الرشيد وقال: أكثر الله في أهلي منك، وأمر بألفي دينار فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته[1].

شيطانان

التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ، وشيطان المسلم مهزول أشعث أغبر عارٍ.

فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك مهزولاً؟

فقال: أنا مع رجل إذا أكل سَمَّى الله فأظل جائعاً، وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً، وإذا دهن سمى الله فأظل شعثاً.

فقال: ولكني على رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أُشاركه في طعامه وشرابه ولباسه.

❀ ❀ ❀

(1) الوصايا، ص: 536، 537، ج1 ،بتصرف .